الباب الخامس

{ رؤية }

الفصل الأول

رؤية صانعوا السياسة

وهي رؤية هامة للغاية أيضاً لأنها من مهام التواجد علي الساحة السياسية حيث يقول هنري كيسنجر أن ثمة أمم قليلة في العالم تملك الولايات المتحدة أسباباً أقل للتشاجر معها أو مصالح أكثر توافقاً مما هو الحال مع إيران .. ورغم أن الشاه في السبعينيات أصبح رمزاً للصداقة بين البلدين فهذه المصالح لم تعتمد علي شخصية واحدة فهي تعكس حقائق سياسية وإستراتيجية لاتزال مستمرة إلي يومنا هذا فليس لدي الولايات المتحدة مصلحة يمكن تخيلها في السيطرة علي إيران ؟! وكما يدعي الحاكمون الآن .. ولكنني لا أستطيع مع كل هذا فهم تلك المقولة وإلا فلماذا كل هذه الأحداث والتصعيدات الإعلامية ؟! ثم يعاود القول أنه في أثناء الحرب الباردة كانت مصلحة أمريكا في المحافظة علي استقلال إيران بعيداً عن خطر الاتحاد السوفيتي وهو المصدر التاريخي للضغوط والاعتداءات علي تلك الدولة ؟! وهنا أعاود القول ولماذا إذاً كان حلف بغداد ولماذا كان تجمع الهلال الخصيب في هذه الفترة إذاً ؟! وتجاهل التدخل البريطاني بحجة الدفاع عن الهند والطرق البحرية الموصلة إليها ؟! وفي الحقيقة مستر هنري ففي خلال الحرب الباردة ساعدت إيران في مقاومة الضغط السوفيتي علي أفغانستان ومنعتها من الدخول إلي الشرق الأوسط – أليس كذلك ؟! والحقيقة مستر هنري أن مصلحة أمريكا تماشت مع مصالح شاه إيران في هذه الفترة وما كان الامتنان الأمريكي العميق وليد العاطفة بقدر ما كان تقديراً لأهمية جغرافية إيران وموقعها الاستراتيجي الهام ومواردها ومواهب شعبها أيضاً ؟ ويقول هنري أيضاً بأنه لا يوجد حافز سياسي أمريكي للعداء مع إيران غير أن إيران مستمرة في توفير الأسباب التي تبقي أمريكيا بعيده عنها فقد عبرت الولايات المتحدة من خلال العديد من الإدارات عن استعدادها لتسويه العلاقات مع إيران ؟! لما يمكنها أن تلعب دور حيوي وحاسم أحياناً في الخليج والعالم الإسلامي (وهنا يكون مربط الفرس وعمود الأمر وذروه سنامه كما يقول العرب وإن أغضبك ذلك) ويري كيسنجر أن العقبة الأساسية متمثله في حكومة طهران لأنه منذ الإطاحة بالشاه سنه ١٩٧٩ والحكم في إيران منخرط في سلسلة خروقات لمبادئ السلوك الدولي المقبول والموجهة في العديد منها ضد الولايات المتحدة وإسرائيل فما بين سنة ١٩٧٩ وسنة ١٩٨١ احتجز طلاب إيرانيون خمسين دبلوماسياً أمريكياً كرهائن لمدة أربعين شهراً (تجاهل هنري إيران جيت أيضاً) وعاود القول أن المنظمات الممولة والمدعومة من طهران مسئولة عن عمليات اختطاف استهدفت أمريكيين وغربيين

آخرين في بيروت كما وفر النظام الإيراني الدعم الأساسي للمجموعات التي قتلت عدة مئات من الجنود الأمريكيين في بيروت ..

كما أن الدلائل الموجودة تشير إلي أن مجموعات ترعاها إيران هي التي فجرت الثكنات العسكرية الأمريكية في أبراج الخبر في السعودية والتي أسفرت عن مقتل تسعه عشر أمريكيا عام ١٩٩٦ وفي فرنسا جري اغتيال مسئول إيراني ومعارض (سابق) من قبل عملاء إيرانيين أطلق سراحهم لاحقاً في عملية تبادل مقابل الإفراج عن رهينة فرنسية احتجزت في بيروت وأصدر آيات الله الإيرانيون حكما بقتل سلمان رشدي لم ينقضي حتى الآن ؟! كما أن إيران في النهاية فعلت ما في وسعها لأضعاف دبلوماسية السلام في الشرق الأوسط فطهران هي الراعية لحزب الله الذي يستمر في مقاومة مسلحة للسلام مع إسرائيل ؟! كما تقدم دعماً مادياً كبيراً لحركة حماس والجهاد الإسلامي اللتين تدعيان المسئولية عن هجمات ضد المدنيين الإسرائيليين.. والسؤال هنا كما يطرحه هنري كيسنجر بعد أن أورد سلسلة المخالفات الإيرانية منذ بداية النظام : هل من الممكن إنشاء علاقة ترتكز علي عدم الاعتداء المتبادل ؟! وفي هذا السؤال أيضاً يوجه عينة علي الشركاء الأوروبيين ؟! وذلك بسؤال أخر وهو هل الاندفاع نحو طهران سيكون عقبه في العلاقات مع أوروبا ؟! ويحدث ذلك في خضم الإصرار الأوروبي أيضاً علي ما يسمونه " بالحوار الحرج " مع إيران بغرض استكشاف احتمالات تلطيف سياسة إيران .. وفي الحقيقة فإنه توجد شروط مسبقة ومحددات هامه تحددها أمريكا والمجموعة الأوروبية تتمثل في :

(أولاً) التخلي كلياً للنظام الإيراني عن تصدير الثورة بالقوة والتدمير وكبح الإرهاب .

(ثانياً) وقف التدخل في دبلوماسية (خطة) السلام في الشرق الأوسط .

(ثالثاً) يتعين حصول تقدم بالنسبة إلي حيازة إيران للصواريخ والأسلحة النووية

ويري أن علي إيران إن كان هناك استعداد جدي للتقدم نحو تحسين العلاقات الأوروبية الأمريكية أن تقوم بسلسلة من الخطوات المتوازية والمتبادلة نحو تحقيق تقدم ملموس وأن صعب ذلك علي إيران فيمكنها البحث في ذلك سراً وخلف الأبواب المغلقة ؟!

ومن هناك يمكنك أن تري عزيزي القارئ الهوة الواسعة بل والمسافة الشاسعة بين الرؤية الإيرانية والرغبة الأمريكية التي تتحرك وفقاً لمكانة قمة الإمبراطورية والمصالح الغربية والأمريكية في رغبة في التلاقي ولكن إلي متى يكون ذلك.. لست أدري ..

الفصل الثانى

أمريكا .. روسيا .. الصين

سياسة تقليم الأظافر لإيران

إن موضوع إيران وملفها النووي ومحاولاتها دخول النادي النووي كان من الواضح والظاهر من البحث فيه – والذي فرض نفسه علي الساحة الدولية – أنه متشابك ومتداخل إلي درجة يصعب معه الحل أو الاتفاق وقد يؤثر علي باقي دول المنطقة أو العالم بأسره .. وسوف نحاول السير في جوانبه ومعطياته بحيادية أساسها الفهم والاستنتاج .. ولذا كانت النتائج أفضل كثيراً من المتوقع .

أولا : أمريكا :

تعاملت مع القضية بأسلوب المنح والعطاء بنظرية المصالح تغطي علي أي خلاف أيديولوجي أو عقائدي فالمصلحة لابد أن تكون هي الأرضية المشتركة أو نقطة التلاقي مع إظهار الظلال السيئة من بعيد ولنبدأ من البداية .

١- قام إيهود اولمرت رئيس وزراء إسرائيل بزيارة الصين ولمزيد من التعاون .. مع تغطية عاطفية تثير الشجون بأنه ذاهب لزيارة قبر والده المدفون بالصين والذي فر إليها هرباً من الاضطهاد هو وأسرته وسعياً نحو الاستقرار .. ومات ودفن بالصين .. وفطنت الصين لتلك الزيارة فقامت بإعداد المقبرة والطريق إليها ليكون مناسباً ولا ئقاً برئيس وزراء إسرائيل المقبل ، وقبل وصوله كان حوالي ٣٠٠ عامل وفني ومهندس قد أعدوا المقبرة والطريق إليها علي أحسن ما يكون وكان الترحيب كاملا واللقاء وديا للغاية .. أما الحقيقة فإن " أولمرت " كان يعرض علي الصين المزيد من التعاون في كل المجالات وخاصة في المجال التكنولوجي العالي والمحظور عليها من الدول الغربية وأمريكا بمعرفتها وعن طريقها بهدف أن تبدي الصين المرونة المطلوبة في

الأمم المتحدة عند النظر في المشكلة الإيرانية ويعتبر هذا هو لب الزيارة ولكن علي ما يبدو كان الأمر تحت رعاية وغطاء أمريكي ولكن لم تكن بالقدر المطلوب أو علي ما كانت تتوقع أمريكا و عندما سأل لإيقاف البرنامج النووي الايرانى كانت الاجابه "لقد مضى القطار من وقت طويل؟؟.

٢- ثم جاءت دعوة رئيس الصين لزيارة أمريكا لمزيد من العطاء وبالتالي مزيد من الالتزام والمطالب بالنسبة لإيران ولأن أمريكا تدرك خطة الصين الطموحة لتحقيق طفرة اقتصادية هائلة ولتبدأ المناوشات علي كل المستويات والتي كان من الواضح أن كل طرف كان جاهزاً ومستعداً للآخر .

(أ) في حفل الاستقبال قال المذيع الأمريكي " ويبدأ عزف السلام الوطني لجمهورية الصين " .. وهذا الخطأ جعل الوفد الصيني يشعر بالضيق والحرج لأن معني هذه الكلمة هي " تايوان " أما الصين فيطلق عليها جمهورية الصين الشعبية ، وسرعان ما تم الاعتذار عن هذا الخطأ وكأنه غير مقصود كالعادة .

(ب) في محاولة للرد قام مساعدو الرئيس الصيني " جنج تاو " بتوزيع بيان مكتوب بعد وصوله يقول " إن الصين والولايات المتحدة دولتان عظيمتان ولدينا مصالح مشتركة كبيرة ولدينا تعاون راسخ ونتحمل مسئولية مشتركة لتعزيز السلام والتنمية في العالم "

٣- حاول وزير المالية الأمريكي " جون سنو " ورئيس الاحتياطي الفيدرالي " البنك المركزي " آلان جرينسبان " إرضاء الصين بتحذير من أي حظر تجاري علي الصين في الوقت الحالي وذلك من خلال الإدلاء بشهادتيهما أمام لجنة المالية في مجلس الشيوخ لأن ذلك يعرض الاقتصاد الأمريكي للمخاطر .

٤- أعلنت الولايات المتحدة أن فائض النظام التجاري هو ٢.٢ مليار دولار لصالح الصين وأن حجم التبادل التجاري معها ٢٠٠ مليار دولار وهو نوع من الدعاية والتذكرة .

٥- أعلنت أمريكا أنها علي استعداد لتفهم احتياجات الصين النفطية لإبداء مزيد من المرونة في الأمم المتحدة .

٦- عرض علي الصين ا استعداد أمريكا لزيادة الاستثمارات بسخاء من مبدأ المصالح المشتركة .

٧- عرضت أمريكا ما لم يتم عرضه من قبل علي الهند قبل زيارة رئيس الصين لأمريكا وذلك خلال زيارة جورج بوش للهند حيث عرضت عليها خمسه مفاعلات ذرية جديدة وموافقتها علي عدم التفتيش علي ٦ مفاعلات بعد أن وصل مجمل ما أصبح لدي الهندي إلي ٢٢ مفاعلا ذريا مما أقلق الصين وهو نوع من الضغط أيضا مع وعد بتوريد وتطوير الصواريخ أرض – أرض والطائرات أف ١٦ – أف ١٨ الحديثة وأسلحة تقليدية أكثر من ممتازة وذلك أيضا لكي تضرب عصفورين بحجر واحد فذلك أيضا لكي ترفض الهند الاتفاق الذي كانت تسعي إليه مع إيران للتعاون في مجال النفط والتسليح وهذا يعني نوعا من الضغط علي الصين ثم الإيحاء بنوع من القلق بالنسبة لإيران خاصة مع وجود حدود مشتركة يعني تحويل الاتفاق إلي الاختلاف .

٨- أما بالنسبة لروسيا فقد عرضت أمريكا شيئا بالغ الأهمية وهو عدم الممانعة من الاقتراب من التكنولوجيا الأمريكية والغربية والتي طالما كانت روسيا تواقة للتداخل فيها بدلاً من الوقوف علي حدود التماس معها.
٩- تذكر أمريكا روسيا بأنها ساعدتها علي الدخول في مجموعة السبع الصناعية الكبرى لتصبح ثماني وذلك في يونيو ٢٠٠٢ واتي ستتولى روسيا رئاستها في صيف هذا العام ٢٠٠٦ .

ثانياً:روسيا:

أما الموقف الروسي في هذا الموضوع فيستند إلي عدة قواعد وأسس وهي:

١- يبلغ احتياطي روسيا من النفط ٦٠ مليار برميل وهي تحتل المرتبة الثانية كأكبر منتج ومصدر للنفط في العالم بعد السعودية حيث إنها تستأثر بنحو ٤٠% من الصادرات العالمية من النفط .. كما أنها من أكبر دول العالم من حيث احتياطي الغاز الذي يبلغ "١.٧ " ألف تريليون قدم مكعب .. كما تنتج ٤٠٠ مليون طن من الفحم سنوياً .
٢- يبلغ أسطول روسيا من ناقلات البترول حوالي ١٣٩ سفينة حتى ٢٠٠٥ وجاري بناء ٧٣ سفينة خلال الثلاث سنوات القادمة .
٣- عرض الرئيس بوتين استعداد روسيا لأن تحل محل الشرق الأوسط كمصدر رئيسي للنفط لأوروبا والولايات المتحدة ذاتها .. وذلك كنوع من استعراض القوة والتأثير .
٤- حجم صادرات الأسلحة الروسية في ٢٠٠٥ يسجل رقماً قياسياً يصل إلي ٦.١٣٦ مليار دولار وكان الجزء الأكبر منه إلي إيران مما جعل عوائد صادرات السلاح الروسي في المنزلة الثانية بعد صادرات النفط في الدخل القومي الروسي .
٥- مجموع الإنتاج الوطني الروسي ارتفع بعد أحداث إيران الأخيرة وصادرات السلاح وأسعار النفط من ٤١٢ مليار دولار إلي ١.٥ تريليون دولار ولا يمكن لهذا المعدل العالي من النمو أن يعتمد علي إمكانيات ذاتية بدون التأثير والتأثر في المواقف الدولية والاعتماد علي التعاملات الدولية الخارجية لكي يساهم كل ذلك في هذا المعدل الخرافي
٦- يوجد أسس لسياسة خارجية متناسقة إلي حد كبير بين روسيا والصين وخاصة فيما يتعلق بسياسة موحدة تجاه الشيشان وتايوان ويستطيع هذا الاتفاق أن يواجه أحادية السياسة الأمريكية ونواياها في السيطرة العالمية.
٧- أعلن رئيس لجنة الشئون الدولية بمجلس الشيوخ الروسي " ميخائيل مارجيلوف " عن اقتناعه بأن انتشار قواعد عسكريه جديدة لحلف الناتو يقوض الاتفاقات السابقة بين روسيا الاتحادية وحلف شمال الأطلنطي " .. وهذا يعني ضيق وقلق روسيا من المواقف الدولية الأمريكية والتي تكاد تقترب منها .
٨- وافق بوتين علي التنازل لبكين عن ١٢٠ كيلو مترا مربعا من الحدود الروسية الصينية البالغ طولها ٤٣٠٠ كيلو متر .

٩- خلال زيارات منتظمة شكل الرئيس الصيني " هوجنتاو " مع بوتن جبهة مشتركة ضد أمريكا بشأن مسائل دبلوماسية كبيرة بدءاً من الطرق ووصولاً إلي طموحات إيران النووية وسوف يسعي الرئيس الصيني للحصول علي تأييد روسي اكبر من أجل ضم " تايوان "

ثالثاً: الصين:

١- بعد الجمود المسلح لقرابة ٥٦ عاما بين الصين وتايوان وعزم الصين علي إهداء تايوان زوجا وزوجة من حيوان الباندا النادر والإعلان عن إجراء مسابقة لاختيار الاسم المناسب لهما بقصد نشر المعني المقصود والذي أسفر عن اختيرا اسم " توان – توان " و " يوان – يوان " وهما علي قافية " توان – توان " ومعناها في اللغة الصينية " لم الشمل " ونقل الحيوان ممنوع طبقا للميثاق الدولي العالمي لعام ١٩٥٧ إلا داخل الدولة نفسها ومن هنا جاء اختيار الصين وهذا المعني لتوصيله إلي أمريكا بأنها لن تتنازل عن تايوان " وهذه الرسالة وصلت إلي أمريكا ورصدتها في مجله نيوزويك الأمريكية " واعتقد أنها أدت إلي هذا الخطأ المتعمد والإعلان بصورة خاطئة عن اسم الصين عند عزف السلام الوطني فور وصول رئيس الصين إلي أمريكا .

٢- تداخل المصالح بين روسيا والصين يجعل هناك صعوبة كبيرة في التخلي عن الحلف الروسي الصيني الإيراني والذي يطلق عليه حلف أو تحالف (جيواستراتيجي) يستطيع أن يكون أقوي من عمليات التبادل التجاري مع أوروبا وأمريكا .

٣- في سيبريا ١٨ ألف عالم في ٥٢ مؤسسة علمية حصل منهم ٦ علي جائزة نوبل كما تستقبل سيبيريا حوالي ٤٠٠ عالم صيني في العام للحصول علي المعلومات اللازمة لهم وما تحتاجه الصين من روسيا وذلك طبقا لإحصاء العام الماضي .

٤- تسعي الصين إلي المحافظة علي واردتها من النفط والطاقة التي تحتاجها من روسيا والتي تصل إلي حوالي ٢٠% حتى عام ٢٠١٠ وفي نفس الوقت يمثل ما تحتاجه الصين من روسيا حوالي ٥٠% من الصادرات الروسية من الطاقة وحتى عام ٢٠١٥ .

٥- من علاقات الصين مع إيران عقد وقعته شركة " جوهاي جينر " والمملوكة للدولة لاستيراد ١١٠ ملايين طن غاز بيعي لمده ٢٥ سنة .. وعقد شركة " سينو بك " الصينية كذلك بكمية ١٥٠ ألف طن بترول إيراني يومياً ولمده ٢٥ سنة وتبلغ قيمة هذه الصفقة ١٠٠ مليار دولار أمريكي ونتيجة ذلك ستكون الأرضية مشتركة ومتناسقة بين روسيا والصين نحو إيران .

٦- هل تعلم – عزيزي القارئ – أن هناك قانونا أمريكيا خاصا لمقاطعة إيران وليبيا والذي يغرم الشركات الأجنبية إذا ما استثمرت بأكثر من ٢٠ مليون دولار في أي من البلدين .. ولكنه لا ينطبق في هذه الحالة علي الصين التي تستثمر حوالي ٧٠ مليار دولار في إيران لتطوير حقول النفط وتستورد حوالي ١٣% من إجمالي واردتها من النفط من إيران كما تستعد الصين لضخ ١٥٠ مليار دولار إضافية في إيران وطبعا كل هذا طبقا لقانون أقوي وهو إغماض العين عند المصلحة .

٧- الإعلان عن زيادة الإنفاق الدفاعي الروسي والصيني ليصل إلي ٤٨ مليار دولار تقريبا في السنة للتعبير عن مدي الاهتمام نحو الأحداث الدولية وما يدور حولهما .
٨- وتقوم الصين بمد إيران بتدعيم تكنولوجي وهام في المجال النووي علي مختلف المستويات كما تقوم بتجهيز وإمداد إيران بأسلحة تقليدية علي أعلي مستويات التقدم من صواريخ وغواصات سبق تقديمه في موقف سابق تفصيلاً .
٩- يقول " ماوتسي تو نج " إن السلطة السياسية تنبع من فوهة البندقية والحرب هي سياسة مع إراقة الدماء أما السياسة فهي حرب دون إراقة الدماء "

ومن هنا كان الاستعراض لمعطيات المحاور الثلاثة نحو المشكلة أو الأزمة الإيرانية الحانقة وبقي بعض الرتوش في الصورة .

(أ) إن إيران أصبحت تنادي علي الهند للالتزام بالاتفاقات السابقة نحو النفط والتسليح ولكن الهند لم تعد تسمح بالسمع سوي للصوت الأمريكي بعد زيارة جورج بوش لها وعطاياه السخية .

(ب) تشعر باكستان بضيق وحزن شديد لما فعله بوش في الهند بينما تركها بدون أي هدايا أو عطايا متجاهلاً لها تماما لأنه لم يعد بحاجة إلهيا رغم كل ما قدمته وتقدمه لأمريكا ولكن لم تعد أمريكا تحتاج لها حالياً أو قل صغر سعرها في السوق الدولي حتى أن بوش قال بعد زيارتها إن باكستان مازال عليها تقديم المزيد من التعاون في المعلومات المخابراتيه حتى تحصل علي مزيد من التعاون الأمريكي .

(ج) مازالت ألمانيا تراقب الموقف بقلق لأن روسيا هي أكبر مصدر للنفط تحصل عليه ألمانيا .

(د) ٦٠% من بترول أوروبا الغربية يصل إليها بطريق البحر من الخليج الفارسي أما اليابان فإنها تعتمد اعتماداً يكاد يكون كلياً علي بترول الدول العربية .

(هـ) إيران تهدد من آن لآخر بغلق " مضيق هرمز " وقصف مطارات أبو ظبي ودبي والشارقة وأم القيوين والقاعدة الجوية الأمريكية في قطر والقواعد البريطانية في سلطة عمان كما تهدد بقصف المواقع الأمريكية في العراق وأفغانستان وشمال إسرائيل بواسطة صواريخ (شهاب ١ ، ٢ ، ٣) .. أما أمريكا فهي تهدد باحتلال المواقع النووية الإيرانية والمرابض الصاروخية بعد ضرب المطارات والقواعد الجوية بمئات الطائرات وصواريخ كروز وتوماهوك والقيام بعمليات تخريب في الداخل ؟؟؟!!

وبنهاية الرتوش السابقة للصورة نكون قد وصلنا إلي كامل المعطيات والروافد والتي توحي بالقلق والخوف أو التشاؤم علي أبسط قواعد التقدير ولكن عندما نظرت في البنورة

المسحورة وجدت ما يبشر بكل خير وأن الصورة مضيئة تماماً والأحوال ستكون علي خير ما يرام .. وهذا التفاؤل يرجع إلي الآتي :

١- الصين وروسيا انتهيتا تماماً أو إلي حد بعيد نحو المعونة الكاملة للبرنامج النووي الإيراني كما أن الإمداد بالأسلحة التقليدية وتطويرها أنتهي تقريبا ..
٢- إذا ظهرت احتياجات أخري تكميلية لإيران فيمكن التغاضي عنها بقفل العين ولو مؤقتاً من جانب الغرب وأمريكا .
٣- انتهت الصين وروسيا من عقد اتفاقات شاملة لمدة ٢٥ عاماً مع إيران ..

هذا هو الواقع المنتظر فلا مانع تماماً من أن يصدر أي حصار أو قرار شديد من الأمم المتحدة نحو إيران لا مانع من ذلك ويحظر أيضاً علي أي دولة أن تتعامل معها مجدداً ، ويشترط أيضا أن تشتكي إيران وبصوت عال جدا من هذه القرارات بل وتصرخ من قسوتها حتى يقول العالم العربي والدول الإقليمية المساوية له.

هذه هي القسوة الأمريكية .. وهذا ما جنته علي نفسها إيران " وما اشد ما ستلاقيه من حصار يؤدي بها إلي الاستسلام .

وهذا السيناريو المتفق عليه طبعاً .. مقابل ألا تعلن أبداً إيران عن إنتاجها لسلاح نووي بشكل رسمي .. يعني مثل إسرائيل وكوريا الشمالية وهذا يعني لنا أو بالنسبة لنا أنه محصلش وأنه لا داعي للفرح أو محاولة التقليد لأنه لم يعلن رسمياً .. وبعد هذا الوقت ننسي إيران كما نسينا كوريا الشمالية وكما نسينا إسرائيل من قبل .

ألستم معي في أن النسيان نعمة كبري من الله لنا وإن كنت ناسي بلاش أفكرك ..وغمض عينك تأكل ملبن وغمض الاثنين تأكل أرز مع الملائكة ..وتصبح علي خير ...! .

الفصل الثالث

نحو تعريف جديد للإرهاب

"الإرهاب" كلمة قديمة تم تفعليها من حقبة زمنية ليست بالقصيرة، ولكن حدث لها كثير من التطورات الجديدة كان منشأها الولايات المتحدة، لكنها الآن تزداد عالمية يوماً بعد يوم وجاء معها مشهد اجتماعي وسياسي جديد.. وفي الولايات المتحدة يبدو أن هذه الأمور مقبولة إلي حد ما ولكنها لا تحظي بهذه الدرجة من القبول في البلدان الأخرى ومن المؤكد أن كثيراً من البلدان ستبحث عن سبل لترويض الآثار المترتبة عليه وقد حدد معالم الإرهاب وعرفه أحد خبراء السياسة المصرية بقوله " إن الإرهاب أصبح نشاطاً مهنياً وظاهرة منظمة وليس سلوكاً انفعالياً تقوم به تنظيمات العنف وهي تستهدف غير العسكريين ولها أهداف سياسية .. وإن العالم كله أصبح ساحة واحدة للإرهاب.. " وهذا المعني يحوي الكثير من المفاهيم .. فلولا الدعم الذي يحصل عليه الإرهاب والأرضية الخصبة التي أوجد نفسه عليها وأوجدتها له المصالح السياسية الغربية وفق أهدافها لما حدث كل ذلك .. وقد تم ذلك من خلال تعاون مؤقت بستار حقوق الإنسان تارة وتارة أخري من أجل المساعدة في حرب ايديولوجيات أخري أثناء الحرب الباردة أو للضغوط علي بعض الدول من أجل هدف ما .

وليس الإرهاب هو القلق وعدم الاستقرار السياسي فحسب فهناك أيضاً بعض المفكرين الذين يدعمون فكرة الصراع وبوازع البحث عن الذات والوجود بعيداً عن السلام والوفاق الدولي لأن الصراع المسلح في ذاته وإن كان بعيداً عن الأهداف المشروعة وعودة الحق المسلوب قد خلف تابعاً لا يتحكم في نموه وقدراته أحد وهو الإرهاب بكل أشكاله التفجيرية والسياسية والعقائدية وبدافع من التطرف الأعمى والتعصب العقائدي بكافة أشكاله ودياناته أيضاً ..

وفي ألمانيا عبر المؤرخ ورجل السياسة "هنريخ فون تريتشكه" بقوله " تؤلب الحرب في الحقيقة الأمم بعضها ضد البعض الآخر ولكنها تقرب فيما بينها بطريقة معينة وذلك بإفهامها مواردها الخاصة وموارد الدول المجاورة وغالباً ما تكون الحرب أكثر فاعلية من التجارة الدولية كوسيط بين الشعوب والأمة التي تتشبث بالأمل الوهمي للسلم الدائم وتدخل حدود انعزالها المتعالي تنتهي حتماً بالانحطاط .. ففكرة القضاء علي الحرب وإلغائها من العالم ليست أملا بليداً فحسب بل إنها فكرة لا أخلاقية في أعماقها .. فلو تحقق هذا الحلم لشاهدنا ضمور بعض القوي الأساسية والسامية في النفس البشرية... ولكن عندما تسمع أمة من الأمم صوت الإنذار الذي يعلن أن الأمة في خطر وأن وجودها مهدد بالزوال تستيقظ

أفضل الفضائل وتنتشر روح التضحية والشجاعة بشكل حر وسام وبصورة لا نعرفها أثناء السلم.. " .

وقال المارشال " هلموث فون مولتكه " والذي غدا فيما بعد إمبراطوراً لألمانيا وحمل لقب " القائد الأعلى للحرب" .. " إن السلم الأبدي حلم إلا أنه ليس حلما جميلاً لأن الحرب حلقة في النظام العالمي الذي أراده الله.. و الحرب مهنة عنيفة وقاسية ولكن من يستطيع أن يخلص من آلامها وضرورتها في هذا العالم؟ أليست هذه الشروط هي وجودنا علي الأرض التي أرادها الله ؟ أليست هذه الشروط هي العناصر الضرورية للنظام الإنساني فماذا سيصبح المجتمع إذا لم يلزمه الشرط القاسي علي التفكير والعمل؟ لقد قال شاعرنا إن الحرب رهيبة كالجروح التي يصيبنا بها الله ولكنها طيبة مثل هذه الجروح وتشكل جزءاً من مصيرنا.

وقال الجنرال "سيكت" في كتابه " أقوال الجندي" Paroles d.un soldaro إن الذي نظر إلي الحرب مباشرة وحده في عينيها الداميتين وتأمل بعين الراصد ساحات حرب عالمية كان مضطرا إلي رؤية آلام الشعوب وأضحي شعره رمادياً تحت رماد البيوت المحترقة وكان يتحمل مسئولية موت وحياة كثير من الرجال، إن الجندي المتعلم الذي عركته الحرب يخشي الحرب أكثر بكثير من الحالم الذي لا يعرفها أبدا ولا يتوقف عن الحديث عن السلم ولا تثار الحرب بقلب فرح عندما يعرف الذي يثيرها فظاعتها حتى لو كان يعرف مع ذلك عظمتها والأفراح الهائلة القادرة علي إشاعتها" .

تلك عزيزي القارئ كانت جولة في الفكر الغربي أيضاً وبمختلف ميوله ورؤاه.. وهي تختلف عن الرؤية المصرية التي طالما نادت بها مصر قيادة وشعبا نحو الطريق السليم والمحدد لمحاربة الإرهاب الدولي بكافة أشكاله وعناصره، ولكونها عانت من الإرهاب لفترات طويلة وهي الآن علي حافة النجاح في التعامل معه وبصدق وشفافية وحقا لما تتمتع به قيادتها السياسية من طول بال تحسد وبحق عليه وبفهم للجذور والأبعاد، وتدعو العالم بأسره للعمل بها وهي " أولا " السلام الدولي بعيداً عن الصراع ألمصلحي وبشفافية كاملة لا تميل لأحد الأطراف وفق الهوى والنفوذ ولا تكيل بمكيالين وفقاً للمعايير الخاصة والاقتصادية والأيديولوجية .. لأن من عرف الحرب بقلب سليم ونفس شفافة لا يريد الحرب أو يدعمها أو يذهب إليها . وذلك لأن الحرب والصراع ألمصلحي والاحتلال والاستعمار هو بذاته الأب والإلهام "للإرهاب" .

ثانياً : البعد بالإرهاب والتعامل معه باتفاقات مؤقتة وفق الهوى " أي عدم تسييس الإرهاب في بوتقة الصراع السياسي لكونه أشبه باللعب بالنار لا تحمد عقباه.

ثالثاً : لابد أن يكون هناك تعريف شفاف للإرهاب وقانون دولي يحدد حجمه وأهدافه بعيدا عن الشطط السياسي وفق المصالح الخاصة ليعرف كل إنسان علي الأرض حقوقه وواجباته حيال المجتمع الدولي والإنساني بكافة أشكاله ودياناته ومعتقداته ايضاً .. ويتم فيه تحديد الفارق بين المقاومة المشروعة لعودة الحق وفق المعايير الدولية والحقوق المشروعة وبين الأهداف الاحترافية التي تشبه المرتزقة إلي حد كبير ؟! فلا تتوه المعايير وتعطي الغزو الفكري المجال للتولد السرطاني غير المحمود .. وتكون بالتالي تهمة الإرهاب عامة ومطاطة تلصق بكل طائفة أو دولة دون عدل أو مساواة ؟! وهذا ما نادت به ولا زالت تنادي ولكن هيهات أن يستجيب المجتمع الدولي أحادي القطبية أو القطبية كلها وفي هذه الظروف الصعبة بالذات .. ؟! ولكي يكون الأمر واضحا وجليا لك عزيزي القارئ وجب دراسة نماذج خلط السياسة بالإرهاب والتهديد بالإرهاب لتحقيق أهداف سياسية.. والنموذج الأول هو المشكلة الإيرانية الأمريكية علي اعتبار أنها من محور الشر أو الدول الراعية للإرهاب من المنظور الغربي عامة والأمريكي علي وجه الخصوص وكيف تم ويتم التعامل معها بالمعايير السياسية الحالية.

وقد لخص العراب الأمريكي للسياسة الأمريكية " هنري كيسنجر" سلبيات النظام الإيراني الحالي وكيف كان الصبر الأمريكي بال حدود (علي الأقل حتى الآن) في كتابه الأخير "نحو دبلوماسية القرن الحادي والعشرين" . ذيول أحداث ١١ سبتمبر وتداعياتها علي العالم. بالنقاط الآتية:

١ – الاختطاف الذي استهدف أمريكيين وغربيين آخرين في بيروت خلال الثمانينيات كان من منظمات مدعومة وممولة من إيران . كما قتل عدة مئات من الجنود الأمريكيين في بيروت منهم.

٢ – احتجز طلاب إيرانيون خمسين دبلوماسياً أمريكيا كرهائن لمدة أربعين شهراً.

٣ – تفجير الثكنات العسكرية في "الخبر" في السعودية والتي أسفرت عن مقتل تسعة عشر أمريكياً في عام ١٩٩٦ طبقاً لمجموعات ترعاها إيران.

٤ – تطوير القدرات النووية السرية باستخدام تكنولوجيا مزدوجة من الغرب مع بعض الدعم من روسيا (ويبدو أن الصين قد ألغت وأنهت دعمها السابق) ثم استعرض العلاقات الأمريكية الإيرانية بقوله : "ثمة أمم قليلة في العالم تملك الولايات المتحدة الأمريكية أسبابا أقل للتشاجر معها أو مصالح أكثر توافقا مما هو الحال مع إيران ؟! وليس لدي الولايات المتحدة مصلحة مع مطلب إيران بالاستقلال .. فقد شعر العديد من صانعي السياسة الأمريكية بمن فيهم " أنا " بالامتنان العميق لدعم الشاه للولايات

المتحدة في أزمات الحرب الباردة المختلفة (عفوا كيسنجر . وماذا كان مصيره معكم) .. غير أن حافزنا الأساسي لم يكن العاطفة بقدر ما كان تقدير أهمية جغرافية إيران ومواردها ومواهب شعبها..

باختصار لا يوجد حافز جيوسياسي أمريكي للعداء بين إيران والولايات المتحدة .. وقدر إيران لعب دور حيوي وحاسم أحياناً في الخليج العربي وفي العالم الإسلامي .. ثم ختم الاستعراض بنصيحة " إنني قلق من محاولة الاستخدام المبالغ فيه للعقوبات الدولية .. " !! وعلي ما يبدو عزيزي القارئ فقد حددت وسارت أمريكا خلف " الإمام " "كيسنجر" بكل اقتناع ورضا نادر وحددت المطلوب من إيران :

١ – التخلي عن تصدير الثورة بالقوة والتدمير.

٢ – كبح الارهاب.

٣ – وقف التدخل في دبلوماسية السلام في الشرق الأوسط.

٤ – وقف البرنامج النووي العسكري الإيراني .

وبذلك يكون الهدف الاستراتيجي (إن نجح) هو بذل مجهود رئيسي للتوصل إلي اجتماع يربط الدبلوماسية بضغوط معقولة ومقترحات دبلوماسية متفق عليها تجاه إيران وإتباع سياسة ثابتة ومتماسكة وتصالحيه.. وبذلك يمكن استعجال اليوم الذي تصبح فيه إيران مستعدة لتعاون بعيد المدى – ويكون السبيل والطريق إلي هذا بتعيين ممثل سري في البداية ثم حوار تمهيدي يتبعه إعلان رسمي أو شبه رسمي وبخطوات محسوبة ومرغوبة لكلا الطرفين وتلك عزيز القارئ كانت رؤية كاتب تحتمل الخطأ والصواب للنقطة الأولي حول تسييس الإرهاب أو بمعني أدق استخدام "الإرهاب" في أغراض سياسية أحادية القطبية أو القطبية كلها وبعيداً عن قانون الإرهاب أو حتى تعريفه لدولة كانت محور الشر أو داعمة للإرهاب وممولة له من وجهة النظر الغربية والأمريكية .. ولكن إذا كنت من هواة مشاهدة الأحداث في الكواليس أو باحثاً عن الحقائق خلف الأبواب فانظر وتأمل ولكن بحذر ودون أن تتكلم.

(١) استبعد البيت الأبيض الأفكار العسكرية والخطط التي أعدها البنتاجون والمخابرات المركزية بعمل عسكري غير مأمون العواقب وغير مناسب سياسياً في الظروف الحالية سواء قامت بذلك أمريكا أو إسرائيل بدعم أمريكي خاصة أن أمريكا مقدمة علي انتخابات رئاسية جديدة ولا ينبغي أن يفتح النظام الحالي ملفاً قد لا يغلق حالياً وتتحمل تبعاته الرئاسة الأمريكية القادمة ..

(٢) إن ما يمكن دفعه من ثمن للسلام أو التهدئة في الشرق الأوسط قد يكون باهظ التكاليف كما وضح من خلال مباحثات مؤتمر السلام في " انابوليس" والشكوك العربية حوله وطلب ضمانات للتطبيق قد تفوق الوعود الأمريكية لإسرائيل بعدم الضغط عليها للعودة إلي حدود ١٩٦٧ (من بوش لشارون) .

(٣) الانتظار لنتائج المباحثات السرية والتي حققت تقدماً ملموساً مع إيران طبقاً لنصائح كيسنجر وساسة البيت الأبيض المؤيدين لها ؟!! ولذلك تم سحب العرض الأمريكي من مجلس الأمن بتبني أمريكا لتطبيق مقررات مؤتمر السلام في " أنابوليس" وإضفاء شرعية دولية عليها لإلزام كافة الأطراف بها وهذا لم يعد مقبولاً بعد تقدم المباحثات مع إيران واستبعاد الحل العسكري وهذا ما أدي إلي سحب المشروع الأمريكي بعد عدة ساعات من تقديمه وبحجج وهمية وهلامية لم تهضمها العقول السياسية العربية بعد ... !! .

(٤) وافقت إيران علي المطالب الأمريكية الأربعة التي حددها هنري كيسنجر ولكن بالثمن الذي وجدته مناسباً فالمفاوض الإيراني شرس ولا ينخدع بتحوير الألفاظ أو الحلول الوسط والتعاريف الهلامية ويعرف ماذا يأخذ أو يناسب ومتى يدفع وماذا يكون الثمن وفقاً لمصلحته الشخصية وما تقضيه الظروف الحالية والمواقف الدولية والإقليمية .. وتدرك ذلك أمريكا أيضاً فهي تعطي وتتعامل مع الجانب الإيراني بوضوح وما يمكن تطبيقه فعلا " ولكن يبقي في القلب ما فيه " انتظاراً للجديد والكل يأمل في أن يكون لصالحه ووفق هواه لعل الرياح تأتي بما تشتهيه السفن والأنفس.

(٥) أعلنت أمريكا وفق الاتفاق وببيان رسمي محسوب لكونه شبه رسمي ومن جهاز أمني (سي – آي – إيه) وليس علي المستوي الحكومي ايضاً وتلك بعض نقاطه الرئيسية:

أ – نعتقد وبدرجة عالية من الثقة أن إيران أوقفت في نهاية ٢٠٠٣ برنامجها النووي العسكري وبدرجة متوسطة من الثقة أن البرنامج لم يستأنف منتصف العام " لاحظ دقة الألفاظ والملاحظات أنه متفق عليه بياضاً لوجه الطرفين واختيار تاريخ سابق يناسب مكانة إيران الإقليمية والإمبراطورية الأمريكية العالية .. " .

ب – إقرار طهران وقف برنامجها للتسليح النووي يوحي بأن طهران أقل تصميماً علي تطوير أسلحة نووية مما كنا نعتقد منذ عام ٢٠٠٥.

جـ - الوسيلة المرجحة لإيران لإنتاج كمية كافية من المواد الانشطارية لصنع قنبلة نووية هي تخصيب اليورانيوم الذي بدأته في عام ٢٠٠٦.

د – وكالة الاستخبارات لديها ثقة أن إنتاج كمية كافية لإنتاج أسلحة هو عام ٢٠٠٩ لكن الاحتمال ضئيل جداً .. ! .

هـ - لن تكون إيران قادرة تقنياً علي إنتاج ومعالجة كمية كافية من البلوتونيوم لأسلحة نووية قبل عام ٢٠١٥.

و – قرار إيران وقف تطوير برنامجها النووي العسكري في عام ٢٠٠٣ جاء رداً علي الضغط الدولي (وهذه النقطة موجهة بالأخص للدول العربية).

وإلي هنا عزيزي القارئ فقد نجحت علي ما يبدو الوصفة الكيسنجرية وعادت الأمور في الشرق الأوسط لما كانت عليه هادئة ومستكينة وثابتة بغير وعود (ولا عزاء ..) وعادت عملية بناء المستوطنات إلي معدلها العادي والمقدر وعاد السلام الإقليمي للهدوء حكما قدرته ورأته السياسة الأمريكية .. وسمحت أمريكا لإيران بحضور الاجتماع الأخير لدول مجلس التعاون الخليجي بكل ترحيب وبضوء أخضر تم فيه التفاهمات بين الدولة المضيفة ودول الخليج صاحبة المكان حتى أن بعض الدول الخليجية لم تكن تعلم بحضور الرئيس الإيراني " أحمدي نجاد " لهذا المؤتمر وذلك علي لسان وزير خارجية الكويت ؟! وإلي هنا فقد هانت أنفسنا علينا فلماذا نستغرب أن نهون في عيون الآخرين ؟! .. والسلام في المنام.

الفصل الرابع

إيران والغرب ..... والحرب

ما أراه وتتحدث به النجوم وأفلاك السياسة الدولية والإقليمية وأحداث التاريخ هو رياح وغيوم، وكل ذلك يعني أن المنطقة الشرق أوسطية مقبلة علي أحداث جسام ، ومن المؤكد أيضا أن مفاتيح التهدئة أو صمامات السيطرة علي الأحداث لن تكون سهلة أو مطمئنة كما تخيلها واضعو الخطط والسياسات ، فدوما ما تكون الخطط النظرية غير متطابقة مع الواقع العملي .. وان بدا ناجحا فقد يختلف عند الممارسة والاستخدام ، والغزو الأمريكي للعراق وتجربة فيتنام مثال علي ذلك ، ولكن تبقي الشعوب دائرة في مسارات أشبه بالنجوم والكواكب وبطاقة كامنة بداخلها أو مكتسبة من أرواح الشباب وأموال الكادحين، وإهدار لنعم الله وطمع ليس في الجزء الأكبر ولكن بجشع في كل ثروات العالم . وهي رؤية جديدة أملتها حقائق وإحداث متتالية حول احتمالات ضربة عسكرية لإيران وما يصحبها من تداعيات علي الشرق الأوسط وربما العالم بأسره وهي جولة بين أطراف المشكلة ولاعبيها برغبة أو اضطرار وإلي نقطة البداية.

بالنسبة لأمريكا يتلخص الموقف الأمريكي في حتمية المواجهة مع النظام الإيراني لتخفيف الضغوط علي دول الخليج وإسرائيل أيضاً، ووفقاً لنظرية استراتيجية أمريكية بعدم السماح بقوة ايديولوجية مهما كان السبب أو التضحيات وللمحافظة علي المكانة والوضع الأمريكي للإمبراطورية في النظام الدولي الحالي وحيد القطبية . وللحاجة والضرورة أيضاً.

بعض المحللين المتخصصين في الشئون النفطية ومنهم " روجر هاورد " يري " أن احتياج أمريكا من النفط للمركبات فقط " سيارات خاصة وشاحنات" يحتاج إلي ما يقرب من ١٠.٦ مليون برميل من النفط يومياً (بحساب تدريجي لمعدل استهلاك الفرد) إلا أن بعض السياسيين قلل من تلك الإحصائية إلي ما يقرب من ٢.٦ مليون برميل من النفط يومياً بخلاف باقي الاستخدامات الصناعية والبتروكيماوية ومع الفارق بين الرقمين إلا أن الاحتياج والحاجة الأمريكية للنفط في أمريكا أصبحت ضرورة حتمية للدفاع عن الذات الأمريكي نفسه وليست مسألة مصالح أو ترفيه لرجل الشارع الأمريكي وهي ضغوط لم يعد رجل السياسة الأمريكي في باحة من الخيارات والوقت للتعامل معها.

من عجب الأقدار أن تتغير كل المفاهيم الثابتة نتيجة لتغير الأحداث وبصورة غير مسبوقة في العصور السابقة، فمن الطبيعي أن تكون قوات الإمبراطورية الأمريكية وحيدة القطبية المهابة والمكانة التي تؤدي إلي الردع بمجرد نزولها إلي أرض الواقع ومسرح الأحداث ولكن حدث عكس ذلك تماماً .. فقد تحولت القوات الأمريكية في العراق والقواعد الأمريكية في الخليج إلي نقطة ضعف في الخطة الأمريكية لضرب إيران حتى لا تطولها نيران وصواريخ إيران.. ولم يعد الداخل الأمريكي يتحمل خسائر زائدة عما حدث في العراق وأفغانستان ، فتحولت القواعد والقوات إلي نقاط حيوية واجبة التأمين والدفاع عنها، ومن هنا لجأت أمريكا إلي تخفيف العبء عنها، بعيدا عن مسرح العمليات المقبلة، وكان الاختيار " بحر قزوين" فتعاقدت أمريكا مع اكبر شركة للأمن وهي في الواقع مرتزقة وهي شركة (black – Water) ومعناها الحرفي المياه السوداء والمقصود بها " المستنقع " أو " العمليات القذرة " وهي شركة مكونة في اغلبها من قادة وجنود مسرحين في أمريكا اللاتينية " لدقة الشبه " مع أشخاص مسرح العمليات ويتمتعون ببنية قوية وأغلبهم من جمهورية " شيلي " عبر عقود مغرية وبتسهيلات تسليحية متقدمة للعمل والتدريب في ارض " أذربيجان " ، وما أن علمت إيران بالإعداد والتجهيز والتدريب حتى سارعت بتشكيل قوات خاصة نظامية تم إعدادها لمواجهة هؤلاء المرتزقة منعا للتخريب والإزعاج والصداع المؤلم أثناء العمليات المرتقبة، وعلي المستوي السياسي سارعت بعقد مؤتمر " دول القوقاز" الستة في طهران وبحضور " بوتن" الرئيس الروسي آنذاك ، وما أن علمت أمريكا بسلبيات المؤتمر عليها حتى سربت معلومات عن خطة لاغتيال " بوتن" في طهران أثناء انعقاد المؤتمر ولم تنطلي اللعبة علي (K.G.B) ، وعقد المؤتمر ونص في بيانه الختامي البند ١٤ ، ١٥، ١٦ علي عدم جواز استخدام أراضي دول "بحر قزوين" في العمل ضد أحدي دوله ! وغضت البصر إلي حد بعيد عن بعض الطلبات التي لم تكن لتوافق عليها، ولكن لكل مقام مقال فقد تساهلت مع البطء في الإعداد والتجهيز لمفاعل "بوشهر" مع الجانب الروسي وأيضاً إيقاف تنفيذ مصنع الطائرات القاذفة الثقيلة وبعيدة المدى " توبوليف" والذي وعدت روسيا إيران به وعلي أراضيها ، فهدفها أبعد وأعمق من ذلك وهو إتمام الجلوس علي الناصية النووية.

من هنا فإن زيارة جورج بوش وتصريحاته في إسرائيل بمناسبة الذكري الستين لها ليست زيارة ودية أو تعاطف فقط لصديق وحليف، لكنها زيارة عمل واجبة " ووجب علينا أن نفهمها بهذه الصورة" ، وزيارة مساندة واجبة وحتمية بين الحلفاء ولحاجة إسرائيل إليها في أحداث مقبلة، ورسالة لكل أطراف اللعبة الشرق أوسطية بموقف حاسم وحازم تجاه

إسرائيل وربما تكون تأييداً لبعض المحللين السياسيين في واشنطن بأن الضربة ستكون أمريكية وهي تحليلات لم ترق بعد إلي اليقين.

أما عن الموقف الروسي فهو، لم يبعد كثيراً عن مسرح الأحداث سواء بالرغبة أو الحتمية ولكن ما يسترعي النظر هو أنها لم تترك أية فرصة دون التقييم وبالثمن المناسب، فحضرت مؤتمر " دول بحر قزوين" ومعها أجندة بالطلبات طبقاً للمعروض، وهو أن تكون السيطرة علي "بحر قزوين" في حدود سطح البحر وليس في العمق، وحرية الغواصات الروسية في العمل في بحر قزوين ، وتقاضت إيران ايضاً، وصدر البيان الختامي متوازناً بين العرض والطلب.

كل ما كنا نعرفه عن معركة "خليج الخنازير" في كوبا هو انتصار أمريكي مريع ومريح أيضا بعد أن لوحت أمريكا بحرب نووية تأتي علي الأخضر واليابس علي سطح الكرة الأرضية بكاملها، ولكن ظهرت وثائق حديثة غيرت كل المفاهيم ولم تكن معلنة حتى أفرج عنها أخيرا، وهي أن روسيا لم تذهب إلي كوبا استعراضا للقوة أو بغير حسابات دقيقة ومدروسة ، ولكنها وفقاً لمعايير فنية وأمنية عسكرية نجحت تماماً في الوصول بالصواريخ الروسية فوق قواعدها علي الأرض الكوبية وملاصقة للحدود الأمريكية ذاتها وليست حبا في "كوبا" أو عشقا لبطولة كاسترو أو حتى دعما له ، ولكن كان لها هدف آخر يتلخص في التعبير الدارج " سيب وأنا أسيب" ، فقد خشيت روسيا من الصواريخ الأمريكية علي أرض " تركيا " والموجهة بالقرب منها، وفي ذات الوقت كانت تريد من أمريكا أن تبعدها عن أراضيها وكان من نتائج المفاوضات السرية وغير المعلنة أن تنسحب أمريكا بصواريخها من تركيا حتى تنسحب روسيا من كوبا، وتم ذلك بالفعل وسرا غير معلن خفي عشرات السنين، ومن عجب الأقدار أن أمريكا أعادت نصب شبكة الصواريخ هذه الأيام (طبقاً لما تناقلته وكالات الأنباء ٩ ، ومرة أخري ولكن مع صمت روسي ، فهل يكون ذلك طبقاً لاتفاقات خلف الأبواب المغلقة بين القوي الكبرى تخص الأحداث القادمة بإيران خصوصا أن كل شئ بثمن؟

أما الاتحاد الأوروبي وهو عضو في تحالف رسمي وحتمي وثابت مع السياسة الأمريكية ويتمثل في هيكل رئيسي هو فرنسا القادم الجديد وبعد طول غياب وبريطانيا " الحليف التقليدي " والمنضم حديثا " ألمانيا" التي لها مصالح اقتصادية مع إيران تبلغ ما يقرب من ٤.٦ مليار دولار، وعلاقات خاصة بما يعادل ٦٠٠ مليون مارك ألماني " العملة الألمانية القديمة" ، ومع ذلك فهل يتحمل الاقتصاد والشركات الألمانية التضحية بهذا المبلغ في مقابل التحالف الجديد، (أحدي منغصات ومعضلات التحالف والتوافق الأوروبي) وهذا

إلي جانب ما تعانيه السياسة الأوروبية (باقي الدول) من التوفيق بين المصالح والعلاقات الاقتصادية وما تفرضه المصالح السياسية والتحالفات الحتمية، وقد ظهر ذلك بجلاء في مناقشات الاتحاد الأوروبي حول المسألة الإيرانية، فقد أعلن مندوب الاتحاد الأوروبي أن المندوب الأمريكي كان يصرخ بصوت عال أمامي خلافا للأعراف الدبلوماسية وعلي ما يبدو أنه يتعرض إلي ضغوط عنيفة في " واشنطن" ، وعلي الرغم من أن العديد من الألمان يري أن التصريحات الأمريكية بخصوص "إيران" تعكس سياستها التوسعية بدلا من كبح جماح هذه المبالغات، ودبلوماسي آخر صرح بالقول " بأننا بحاجة إلي حلول دبلوماسية وليس إلي تهديدات باستعمال القوة، غير أن الحقيقة هي أنه لم يكن يوجد لدي أي سياسي ألماني لا الوسائل المادية ولا الشجاعة السياسية للوقوف في وجه الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا تتصرفان بطريقة شديدة الشبه بتصرف رئيس الوزراء البريطاني " نيفيل تشامبرلين" في عام ١٩٣٨ عندما أذعن لمطالب " هتلر " بشأن إقليم " السوديت" في تشيكوسلوفاكيا في حين رفضت أمريكا منح أوروبا أي هامش للمناورة في هذا الصدد ومع هذا مايزال التحالف الأوروبي الأمريكي في إطار آمن من التفكك.

بالنسبة للصين يعود التحالف التجاري بين " بكين و "طهران " إلي منتصف التسعينات ومنذ ذلك الوقت يمكن القول إن إيران كانت تساعد " الصين" علي تشكيل تحد لهيمنة "أمريكا" العالمية بطريقتين متمايزتين وكانت تعمل علي إكساء التحدي الاستراتيجي الطويل الأمد الذي تمثله " بكين" لأمريكا فقد قفز الوارد الإيراني من مجرد نصف مليون برميل عام ١٩٩٢ إلي ١٦.٨٧ مليون برميل في عام ١٩٩٤ وبعد عامين وصل إلي ٢٦.٤٣ مليون برميل وفي عام ٢٠٠٤ تحولت إيران إلي ثاني أكبر مصدر للنفط إلي الصين وفي ذات العام انتزعت إحدى الشركات الصينية عقداً بدأ تنفيذه في عام ٢٠٠٨ لاستيراد ما قيمته ٢٠ مليار دولار من الغاز الطبيعي الإيراني المسال لأسواقها المحلية وغير ذلك الكثير وهذا للاستدلال فقط، ومن هنا كان الموقف الصيني حجر عثرة في حلق السياسة الأمريكية لإضفاء الشرعية علي العقوبات الغربية علي "إيران" أو حتى ضربها من خلال الأمم المتحدة، ولكن سرعان ما أشعلت أمريكا نارا كانت خامدة في إقليم "التبت" وعادت تصريحات وقلاقل " الدلاي لا ما " من جديد ثم عادت الأمور إلي التهدئة من جديد بإشارة أصبح واحدة من " أمريكا " فهل ضحت الصين بالمصالح مقابل الترضية الأمريكية ، أم أن هناك مصالح واتفاقات تحتفظ كل منهما بها تحفظ التوازن بين الحاجة ومتطلبات السياسة وتم الاتفاق عليها خلف الأبواب المغلقة؟. هذا ما ستسفر عنه الأحداث والمواقف المقبلة.

علي العكس من ذلك فإن كوريا الجنوبية هي حليف أمريكي بحكم التاريخ والواقع العسكري أيضاً علي الأراضي الكورية الجنوبية، ولكنها في موقف صعب للغاية للموائمة بين ما تقتضيه السياسة الخارجية والواقع علي الأرض من الاحتياج إلي الغاز الإيراني لمتطلبات الحياة وليست الرفاهية فقط، فماذا تفعل كوريا الجنوبية في استثمارات عالية في إيران وعقود أبرمت بقيمة ٤.٦ مليار دولار لتنمية المرحلة الرابعة والخامسة لحقول الغاز العملاقة في إيران تولتها من الناحية الهندسية شركة " هيونداي" واستثمارات نفطية أخري بقيمة ١.٦ مليار دولار تتم حالياً لتنمية حقول الغاز ولكن هذا الاختلاف هل يقوض القوة الأمريكية بطريقة أخري أكثر مكرا إذا تمادت "واشنطن" في محاولاتها شراء ولاء أي بلد تغريه الإغراءات للنفط والغاز الإيرانيين مثلما فعلت أمريكا مع "الهند" في يوليو عام ٢٠٠٥ لمنحها تقنيات نووية عالية تحتاجها بشدة لتوليد الطاقة تعويضا عن النفط الإيراني، ولكن في المقابل فإن التسريب النووي قد يؤدي إلي عواقب وخيمة وهذا ما قاله " روجر هاورد" المحلل السياسي في مجلة " نيو – ستيتمان" .

هناك أيضاً تركيا التي لم يعد لديها ما تبقي عليه مع الغرب وأمريكا بعد أن خذلتها السياسة الأمريكية في الضغط والمساندة علي القوي الأوروبية لضم تركيا للاتحاد الأوروبي وبعد التعثر الملموس الذي وصل إلي حد الرفض تقريبا ولم يعد أمامها إلا العودة إلي العمامة بعد رفض الشركاء لها لارتداء القبعة الأوروبية فأصبحت لا تغامر إلا وفق مصالحها وارتباطها مع حلف "الناتو" فهي تسمح بقواعد صواريخ طبقاً لاتفاقيات "الناتو"، ولكنها أيضاً رفضت السماح للطائرات الأمريكية لتضرب "إيران" من أراضيها وفقاً لما أعلنته وكالات الأنباء مؤخرا فالوضع لايسمح مع الزى الجديد (العمامة) وأيضاً الثمن ليس بالكافي للمغامرة وهذا ما صدم "ديك تشيني" في مباحثاته مؤخرا وخاصة مع جنرالات الجيش التركي فكل شئ طبقاً للعرض والطلب والثمن ايضاً.

بالنسبة لإسرائيل، وقد تناولت هذا المحور عدة مرات، لكن دائماً ما تأتي الأحداث بالجديد حيث تري إسرائيل أن إيران بإصرارها علي عدم القبول بالحزمة الغربية المليئة بالحوافز لكونها تتعارض مع العصب الرئيسي (C.N.S) للأهداف الاستراتيجية الإيرانية فسيؤدي ذلك حتما إلي الذهاب إلي خط التصادم علي ضفاف نهر " الفرات" وهو الخط الأعلى الأزرق علي العلم الإسرائيلي وهو هدف استراتيجي وآمال في العمق والقلب وتراه ايضاً إيران القدسية والعتبات وكربلاء وجذور أيدلوجية لازمة لتتويج الآمال، وهذا الخط أراه حتميا لكلا الطرفين لم تختره كلاهما، ولكن رتبته الأقدار ولا يغني حذر من قدر ومن هنا يكون الدافع والأساسي والرغبة أيضاً لدي إسرائيل للإسراع بالاستباق والوقاية فلابد

من الاشتراك في الأحداث المقبلة أو حتى المقاولة بكاملها وهذا لايمنع أيضاً من الحصول علي الثمن والاستفادة بدلا من الاضطرار إلي الذهاب وحدها وربما في توقيت غير مناسب وليس بقوة الدفع والرغبة والدعم الأمريكي والغربي لتأديب وتهذيب وإصلاح الجانب الإيراني أمام العرب والاتجاه نحو خطه الشرق الأوسط الجديد وقبل الذهاب نحو القدر المحتوم علي ضفاف الفرات في وقت وظروف قد تكون غير مناسبة، أو صعبة أو مستحيلة، ومن هنا فلابد لإسرائيل من قبول التهدئة مع الفلسطينيين وتهدئة الشارع العربي وتأمين الداخل لمزيد من التركيز نحو إيران وما المانع في ذلك مادام في طور التهدئة المؤقتة ويمكن الرجوع إلي المواقع الأصلية ونقطة البداية من جديد مع أول صاروخ للقسام يأتي دائماً بعد صيام طويل وليس مع أذان المغرب في الأعم والأغلب من الأحوال.

وسط كل هذا يأتي موقف العرب وهو موقف واضح وموحد أيضاً في الرغبة بأن يخلو الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل لكل من فيه بما فيهم إسرائيل ومع ذلك فيوجد مواقف للتأمل حيث اللقاء في مؤتمر قمة التعاون الخليجي منذ شهور قليلة كنت أراه لقاء السحاب في المفاجأة والتشابك بالأيدي وفي بقعة ضيقة هي قدر نقاط الالتقاء وبعيدا عن الاختلاف أو تأجيله ولم يستمر ذلك لكونه ضد الطبيعة والخلفيات أيضاً، وبنفس القدر والقيمة كانت العودة إلي الواقع والحقيقة في التصريح السعودي بأن وراء أحداث لبنان ومواقف حزب الله التبني والتأثير الإيراني وهي معلومة ليست بالجديدة بل تحولت إلي مسلمات للأمور والمعطيات في الشرق الأوسط ولكن المغزى هو التصريح الرسمي والتعبير عن الواقع وبمساحة نقاط الخلاف وبصراحة ما ستأتي به الأيام وتنذر به الرياح قريبا، وسارعت إيران بأن التصريح لا يتفق مع ما تم الاتفاق عليه مع الملك " عبد الله" وسارعت أمريكا بالإعلان عن اتفاقية للتعاون النووي السلمي مع السعودية وحماية البنية التحتية، هل يكون ذلك من أجل الطاقة، وهل السعودية في حاجة إلي ذلك، أم أنها رسالة إلي الجانب الإيراني في أن أمريكا لن تقف مكتوفة الأيدي أمام القلق في دول الخليج كافة وأمام الطموحات النووية الإيرانية ، فهي رسالة سياسية وربما عسكرية أيضاً، وقد ردت السعودية بالكرم العربي المعهود بزيادة الإنتاج ٣٠٠ ألف برميل يومياً، وعلي الرغم من أن أحداث التاريخ وسير الفتوحات الإسلامية المؤكدة التي تقول إن "رستم" قائد الدولة الفارسة قتل في معركة القادسية أثناء محاولته الهروب والنجاة بنفسه في عرض النهر وصاح الأعرابي الذي قتله قائلاً" قتلت رستم ورب الكعبة" إلا أن الأسطورة الإيرانية تقول بأنه كان قائدا ورعا يقدس نعم الله التي أصبغها علي عباده المتقين وكان شجاعا ايضاً، وفي المقابل وبالطريقة الحديثة توجد أسطورة أمريكية إنتاج " هوليوود" في فيلم سينمائي بأن أمريكا اخترعت أجهزة حديثة تعدي الزمن وأحداث التاريخ وقامت بتعديل نتائج حرب "

بيرل هاربر" وانتصر الأسطول الأمريكي فيها انتصاراً حاسماً ؟! تري عزيزي القارئ ماذا ستكون نتائج حرب الأساطير علي أرض الواقع .. لست أدري.

الفصل الخامس

إيران تبحث عن موطئ قدم

تقع إيران في قلب المنطقة الزاخرة بثروات النفط والغاز والتي تبدأ من كازاخستان شرقا وتنتهي في العراق غربا وتبدأ من شمال بحر قزوين شمالا وتصل إلى دول الخليج جنوبا، لتشكل أكبر مخزون للطاقة الهيدروكربونية في العالم تعتمد عليها الاقتصاديات الكبرى في العالم خصوصا أوروبا وآسيا لاسيما اليابان والصين والهند.

القواسم المشتركة

وقد أوجد الانهيار السوفيتي فرصة ذهبية لإيران في الخروج عن طوق الحصار الأميركي المفروض عليها عبر التحرك نحو دول آسيا الوسطى وإيجاد أرضيات مشتركة معها على الصعيدين الاقتصادي والثقافي بعيدا عن شعارات الثورة الإسلامية التي طالما شكلت هاجسا كبيرا لدى أصدقاء إيران قبل أعدائها.

تتقاسم إيران مع تركمانستان حدودا مشتركة وامتدادا عرقيا تركمانيا داخل إيران وتشارك كازاخستان في بحر قزوين وتشارك كذلك طاجيكستان اللغة وبشكل عام تشترك مع آسيا الوسطى في أرضية الدين الإسلامي والتاريخ المشترك رغم كون إيران شيعية على خلاف مسلمي آسيا الوسطى ذوي الأكثرية السنية.

مصالح إستراتيجية

ويبدو أن مصالح إيران الإستراتيجية تتركز حاليا في الحفاظ على العلاقات السياسية الفعالة مع دول آسيا الوسطى بما يسمح بالتوسع التجاري والاستثماري على المدى الطويل خصوصا في مجال الطاقة، وفي الوقت نفسه لتساعد هذه العلاقات إيران في الخروج من العزلة الدولية والحصار الأميركي عليها.

وتسعى إيران لتنفيذ هذه السياسة عبر العلاقات الثنائية مع كل دولة على حدة وكذلك

في إطار التحالفات الإقليمية مثل منظمة التعاون الاقتصادي إيكو، ومؤخرا عبر منظمة شنغهاي للتعاون حيث تسعى إيران للانضمام إليها بدعم صيني وروسي رغم ما يعترضها حاليا من صعوبات بسبب الضغوط الأميركية.

وتحظى كل من تركمانستان وطاجيكستان باهتمام إيراني كبير نظرا للحدود المشتركة مع تركمانستان واللغة والثقافة المشتركة مع طاجيكستان، وأما بقية الدول فلم تتجاوز العلاقات معها مستوى الرسميات والتعاملات العادية.

فالعلاقات مع تركمانستان تتمثل في:

- وجود مشاريع اقتصادية مشتركة في مجال الطاقة والغاز ونقلهما إلى الأسواق العالمية
- شبكة من الطرق وخطوط السكك الحديدة لربط تركمانستان ببقية دول آسيا وبتركيا ومنها إلى أوروبا.

أما النفوذ الإيراني القوي فيظهر في طاجيكستان حيث لعبت إيران دورا مهما في مفاوضات السلام الطاجيكية فترة الحرب الأهلية ١٩٩٣-١٩٩٧ بين المعارضة الإسلامية وحكومة الرئيس إمام علي رحمانوف، كما أن العمل المشترك بين دوشنبه وطهران لدعم الحكومة الأفغانية ضد حركة طالبان في فترة ما بين ١٩٩٦- ٢٠٠١ مهد الأرضية للنفوذ الإيراني في المنطقة.

وتشكل إيران وأفغانستان وطاجيكستان ثلاثية الدول الناطقة باللغة الفارسية وتسعى طهران لدعم الجوانب الثقافية عبر تعميم اللغة الفارسية في طاجيكستان التي ما زالت تتعامل رسميا باللغتين الروسية والطاجيكية وبالكتابة السيريليكة.

كما أن طاجيكستان تشهد حضورا قويا للوسط الفني الإيراني حتى أولئك الممنوعين في إيران لتقديم أعمالهم الفنية بين الشعب الطاجيكي في محاولة مستمرة لربط طاجيكستان المستمر بالثقافة الفارسية الإيرانية.

لقد شكل الصراع الإيراني الأميركي دائما أحد أهم الأسباب التي تمنع دول آسيا الوسطى عن بسط علاقات وطيدة مع طهران، كما أن إيران لا تملك الإمكانيات

اللازمة للعب في ملعب آسيا الوسطى مع لاعبين كبار مثل روسيا والصين والولايات المتحدة الأميركية، وربما هذا هو الذي دفع طهران للبحث عن أدوار ثانوية في المحور الصيني الروسي الجديد داخل منظمة شنغهاي وطالبت بعضوية كاملة فيها.

ومن المتوقع في المستقبل المنظور أن لا يحدث أي طفرة في العلاقات الإيرانية بآسيا الوسطى رغم بعض المشاريع الرامية لربط إيران بأوزبكستان وطاجيكستان عن طريق شمالي أفغانستان وكذلك محاولة تصدير الغاز التركماني إلى الأسواق العالمية عبر إيران.